فقيد النظم والنثر

ولي الدين يكن بك

هو محمد ولي الدين يكن بك بن حسن سري باشا يكن بن ابرهيم باشا يكن الذي كان سر عسكر اليمن في عهد خاله محمد علي الكبير رأس العائلة المعظمة السلطانية في الديار المصرية . ولفظة (يكن) بفتحتين فسكون تركية معناها ابن الاخت لذا صارت لقباً عائليًّا للعائلة الكريمة اليكنية التي اسسها اثنان هما جد الفقيد المتقدم ذكره واخوه احمد باشا يكن سر عسكر الحجاز في ذلك العهد السالف

وله الفقيد في الاستانة العلية بجهة السليمانية سنة سنة ١٢٩٠ عربية (١٨٧٣ مسيحية) وامهُ بنت احد امراء الجركس يدعى ابراهيم بك هاجر من بلاده مع من هاجروا من امراء الجركس الذين لجأوا الى الحكومة العثمانية فاقطعتهم كثيراً من اراضيها في بعض ولاياتها منها ولاية سيواس وفيها الى اليوم اخوال للفقيد. وتربت والدتهُ بعد وفاة ابيها في قصر الامير برهان الدين افندي احد ابناء السلطان عبد المجيد واقترنت بوالده وجاء مع بعض اخوانهِ الى الاستانة العلية بعد ان طاف معهم عواصم اوربا لاسباب سياسية

ثم جاء الفقيد الى مصر مع والده ووالدتهِ ولما بلغ الخامسة من عمرهِ اسلمهُ ابوهُ الى معلم علمهُ مبادىء القراءة والكتابة العربية وتوفي والده وهو صغير في السادسة من عمرهِ فتكفل بتربيتهِ وتربية اخوتهِ عمهم المرحوم علي حيدر باشا يكن المالي الشهير الذي تولى نظارة المالية المصرية مراراً . فادخلهُ مدرسة الانجال التي اسسها المغفور لهُ الخديو الاسبق محمد توفيق باشا الاول لنجليهِ وجمع فيها كثيرين من ابناء الوجهاء وخصص لهم معلمين ومهذبين من اشهر رجال العلم والادب وكان مقرها في عابدين امام القصر السلطاني فتلقى فيها مبادىء اللغة الانكليزية والرياضة والجغرافيا ثم دخل مدرسة مارسيل لمديرها العالم الفرنسوي المعروف المسيو مارسيل ثم دخل المدارس الاميرية المصرية

وعشق الادب فدرس فنون البلاغة على الاستاذ المرحوم الشيخ محمد المنشار وبدأ يكتب في الصحف فصولاً وجيزة وكانت بداية كتاباتهِ في جريدة القاهرة

التي كانت تصدر في ذلك الزمان بقلم صاحبها محمد بك عارف المارديني لكنهُ تركها بعد زمن يسير واشتغل بوظيفة في نيابة مصر الاهلية عاملاً بنصح العالم الرياضي الشهير المرحوم شفيق بك منصور يكن. وبقي فيها الى ان وظف في المعية السنية بالقسم الافرنجي سنة ١٣١١ عربية. وبعد تسعة اشهر فصل من وظيفتهِ وعاد الى عالم الصحافة ولازم الاستاذ الفاضل المرحوم حسن حسني باشا الطويراني صاحب جريدة النيل واخذ عنهُ علم المنطق. ثم اشترك مع الاديب الفاضل يوسف بك فتحي واصدرا جريدة باسم المقياس وكان يكتب في جريدة النيل احياناً ثم انقطع لها اثناء غياب استاذهِ الطويراني في الاستانة. وفي سنة ١٣١٣ انعم عليهِ السلطان عبد الحميد بالرتبة الثانية. وفي اوائل سنة ١٣١٤ سافر الى الاستانة ونزل عند عمهِ المرحوم محمد فائق بك يكن احد اعضاء مجلس شورى الدولة. وعاد الى مصر في اوائل سنة ١٣١٥ فاصدر جريدة باسم الاستقامة وبعد شهور منعتها الحكومة العثمانية في ولاياتها فاوقفها وبدأ يكتب في جريدة المقطم حيث بدأت الصلة بينهُ وبين اصحابها الدكتور صروف والدكتور نمر والمرحوم شاهين بك مكاريوس وكتب في جريدة القانون الاساسي في قسميها العربي والتركي وهي الجريدة التي كان يصدرها الاستاذ العالم محمد قدري افندي. وكتب في جريدة المشير التي كان يصدرها الكاتب سليم افندي سركيس وكانت كتاباتهُ في هذه الجرائد الثلاث خاصة بالسياسة العثمانية في ذلك الحين. وفي سنة ١٣١٦ سافر الى الاستانة ووظف عضواً في الجمعية الرسومية الجركية وهي الوظيفة التي خلت بوفاة استاذهِ حسن باشا الطويراني. وبقيت خالية الى ان وظف هو فيها. وفي سنة ١٣١٧ وظف عضواً في مجلس المعارف الكبير. وفي سنة ١٣١٨ نفاهُ السلطان عبد الحميد الى ولاية سيواس وبعد وصولهِ اليها امر بتعيينهِ في وظيفة معاون مكتوبجي الولاية وبقي في منفاهُ مع حرمهِ واولادهِ الى ان اعلن الدستور العثماني فسافر الى الاستانة وجاء منها الى مصر وعاد الى دولة القلم بعد ان بعُد عنها السنين الطوال في منفاهُ، فكتب كتابهُ المعروف باسم (المعلوم والمجهول) وهو جزءان كبيران وضمنهما سيرة نفيهِ وشيئاً كثيراً من احوال الحكومة العثمانية وسياستها وكتاب (الصحائف السود) وهو سلسلة مقالات اجتماعية نشرت في جريدة المقطم، وهذا الكتاب من حيث الانشاء في اعلى

المراتب مما كتبهُ الكاتبون. وكتاب (التجاريب) وهو شبيه بالصحائف. وترجم الى العربية عن التركية الكتاب الذي الفهُ بطل الحرية العثمانية المرحوم نيازي بك

هذه الآثار المطبوعة للفقيد عدا ما في الجرائد والمجلات من رسائله العديدة وقصائده الكثيرة ومن الجرائد المصرية التي كتب فيها غير ما سبق اسماؤها الاهرام والرائد المصري والمؤيد والاقدام وكان رئيس تحرير الاقدام. ولهُ شيء كثير في جرائد الاستانة وسوريا والولايات المتحدة. وهو في شعره فصيح بليغ متين القوافي جيد المعاني قوي الخيال وكان رحمهُ الله حاضر البديهة قوي الحجة في مناظرة خصومه ولهُ آثار لم تطبع اهمها ديوان شعره سيتولى امر طبعها اخوهُ الكاتب الشاعر يوسف حمدي يكن بك

وقد وظف المرحوم بعد عودتهِ الاخيرة الى مصر باعوام في وزارة الحقانية ثم وظف سكرتيراً عربياً لديوان كبير الامناء وكانت لهُ مكانة عند المغفور لهُ ساكن الجنان السلطان حسين ونال من انعاماته وسام النيل. وبقي في وظيفتهِ الاخيرة الى الى ان اعتل واشتدت عليهِ وطأة المرض فقصل منها في سنة ١٣٣٨.

وكان يجيد اللغة التركية والفرنسوية ويتكلم باللغة الانكليزية واليونانية

ومما نظمهُ من شعرهِ الذي لم ينشر قولهُ وجعل عنوانهُ الاستكانة

ان تكن قد خلقتَ للتيه اهلاً ... فانا قد خلقتُ للصبر اهلا
امتثلت الهوى فلا اتشكى ... فيهِ ظلماً ولا احاول عدلا
كن كما شئت خائناً او وفيًّا ... واذا خنت كان ذلك فضلا
لك عندي عقد ان دمعي وشعري ... فتخيَّر والدمع لا شك اغلى
كذب العاشق الذي ليس يفنى ... قلبهُ لوعةً ولا هو يبلى
ليس في هذه الخلائق شيء ... منك اجلى في ناظري واحلى
كدت ادعو الجمال ظلك في الار ... ض ولكن لا يطبع النور ظلا

وقال في مرضهِ هذين البيتين وكانا في غرفتهِ بخط نجيب بك هواويني

يا جسداً قد ذاب حتى امحى ... الاَّ قليلاً طالقاً بالشقاء
اعانك الله بصبر على ... ما ستعاني من قليل البقاء

وقال عند اشتداد مرضهِ

عمر الشباب لقد مضيت محبباً ... وتركت لي عمراً سراك نبيضا

أحي وتبتني الشقاوة كارهاً مثل الكتاب يكابدا التبييضا
عودتُ امراضي وطول تألمي حتى كأني قد ولدتُ مريضا

ومن كلامهِ المنشور في رسالة عنوانها (الحرص على البقاء) قولهُ (الحياة جهنم لكنها معشوقة يشكو الناس مرارة ما يجدون فيها فاذا دنا يوم الفراق تقطعت الاكباد حسرة وارتعدت الاعضاء خيفة لان لكل مرارة نهاية ترجى ما دامت الحياة . ولا يأتي بما يذهل العقول ويخرس الالسن ويقتل الآمال الا الموت) والرسالة كلها بهذه السهولة الممتعة من الانشاء . وقد قال بعض فحول البلاغة الكلام الجيد ما اعانك على فهمهِ فهي من خير الكلام وهي مع هذا الوصف لم تخرج عن كونها احدى بديهياتهِ وبنت ساعة من ساعاتهِ

ومرض المرحوم ثلاث سنوات كان فيها يغالب مرضهُ وكان مع كثرة آلامهِ وقلة نومهِ لا يترك المطالعة والكتابة

وتوفي في التاسعة والاربعين من عمرهِ بمدينة حلوان ليلة الاحد ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣٩ تاركاً زوجة وولدين وبنتاً اكبرهم نجله الشاب احمد فؤاد يكن بك وهو شاعر مجيد في اللغة الفرنسوية ولهُ شعر كثير مطبوع

اثبتنا ما تقدَّم بقلم بعض اخصائهِ . وقد عدناهُ نحن بعيد وفاة السلطان حسين فاذا هو كما قال ابن الفارض

كهلال الشك لولا انهُ أنَّ عيني عينهُ لم تتأفي

لكنهُ كان عالماً وكتاب في يدهِ وكتب كثيرة من امهات كتب الادب ومتون اللغة مبعثرة حولهُ فقرأ لنا ترجمتهُ الشعر المنشور الذي نشرناهُ في صدر مقتطف دسمبر ١٩١٧ وكانت الاميرة التي انشأتهُ قد وضعتهُ بالتركية واقترحت عليهِ ترجمتهُ الى العربية . ولو كنا نعتقد التناسخ لرأينا فيهِ صورة هيني الكاتب الالماني المشهور حينما كان مريضاً في باريس في اخريات ايامهِ . وآخر كتاب جاءنا منهُ منذ بضعة اسابيع يدل على ان عقلهُ كان لا يزال على مضائهِ فهل فني بفناء جسمهِ او تحرَّر من قيود الجسد وهو الآن في عالم آخر غير خاضع لنواميس المادة وعوادي الادواء يرى عظمة الكون مع ارباب المنظوم والمنثور خلانهِ الذين سبقوهُ واصدقائهِ الذين يتبعونهُ . ان لم تكن خاتمة الحياة مثل هذا الملتقى فلا كانت حياة . ففي ذمة الله ايها الصديق الكريم الصادق اللسان الذكي الفؤاد الحر الضمير